**قطيعة الابستمولوجية عند غاستون باشلار**

إننا هنا بازاء مشكلة **ابستمولوجية** تدور حول الصلة بين الابستمولوجيا وتاريخ العلم وهل هذه الصلة متصلة أم منفصلة ، وبالتالي هل المفاهيم العلمية في تطور **متصل** أو تطور **منقطع** ، إن قضية **القطيعة** أو الاستمرارية في المعرفة هي مسألة حيوية أصبحت تفرض نفسها الان من واقع أهميتها في أية دراسة عن الابستمولوجيا المعاصرة وأن مفهوم **القطيعة الابستمولوجية** أو الانفصال هو المفهوم السائد الان بل والمسيطر على كثير من العلماء وجاء التيار البنيوي وعلى أرسه **ميشيل فوكو** فأعطاه أهمية متزايد .

إن وجهة نظر أصحاب **القطيعة الابستمولوجية** تتلخص في أن تطور المعرفة العلمية لايستند دوماً على المفاهيم نفسها التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور أو في فترة من فترات تطور العلم بل إنه تطور يستند على **اعادة بناء المفاهيم و التطورات والنظريات العلمية ، وإعادة تعريفها وإعطائها مضمونا جديداً** .

وليس المقصود بالقطيعة الابستمولوجية ظهور مفاهيم أو نظريات وإشكاليات جديدة وحسب بل أنها تعني أكثر من ذلك أنه لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين القديم و الجديد، أن ماقبل ومابعد يشكلان عالمين من الافكار كل منهما غريب عن الاخر.

ولما كانت **القطيعة الابستمولوجية** بهذا المعنى خاصية نوعية **لتطور العلوم** ، أي لما كان ماقبل القطيعة ومابعدها يختلفان جذرياً أحدهما عن الآخر فان تاريخ العلوم يصبح حينئذ عبارة عن سلسلة من الحقائق أو الأخطاء ، أو كما قال **باشلار** أن تاريخ العلم هو أخطاء العلم وبعبارة أخرى إن تاريخ العلم هو تاريخ ما يعارضه العلم .

لاشك أن **جاليلو** هو **أول من قطع الصلة** بالفكر القديم وتخلى عن مفاهيمه وأسسه وأساليبه بادئاً طريقة جديدة من البحث العلمي **تقوم** على نظرة جديدة للطبيعة ، كما يعتبر **جاليلو** من رواد المنهج التجريبي واستخدام الرياضة في الفيزياء ، فلقد أدرك **جاليلو** أهمية تطبيق الرياضيات في البحوث العلمية ، وجعل من الرياضة المحور الرئيسي الذي يصاغ القانون الطبيعي وفقاً لها أي أنه يعبر عن القانون الطبيعي في صيغة رياضية.

وعند التساؤل عن الذي يعنيه مفهوم **العائق الابستمولوجي** لدى **باشلار** و الاجابة هي كل ما يبقي الفكر سجيناً لتصورات المعرفة العامة ويمنعه بالتالي من بلوغ معرفة موضوعية بالظواهر التي ندرسها ، **هذا التداخل بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة** هو اذن **المصدر الأول** للعائق الابستمولوجي ، وهذا التداخل بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة ، ويبدو العائق الابستمولوجي عند **باشلار** في معارضته بين **العلم والرأي باشلار** بهذا الصدد أن العلم العارض الرأي بصفة مطلقة وأنه أن حدث في قضية معينة أن أعترف العلم بمشروعية الرأي فأن ذلك يكون لأسباب أخرى غير التي تأسس عليها الرأي ، فالرأي خاطىء دائماً انه يفكر بصورة سيئة بل لأي فكر أبداً أنه يترجم الحاجات الى معارف ، وهو إذ ينظر الى الموضوع من زاوية المنفعة يمنع نفسه من معرفته لذلك كان الرأي أول عائق أبستمولوجي ينبغي تجاوزه في نظر **باشلار**.

ولا يتم تجاوز هذا العائق الاول الابعقلنة التجربة الاولى فهذا هو السبيل الذي سيوصلنا الى فهم أكثر تجريداً للواقع ، أما أن يهيمن علينا الرأي الشائع العام أثناء البحث ، فهذا معناه إننا لم نتوصل بعد الى وضع المشكلة المدروسة في صيغة علمية ، فالوضع العلمي لمشكلة ما لا يكون بالبقاء في المعرفة العامة ، بل بالخروج من حدودها لأن المعرفة العلمية تنافس كما بين **باشلار** ذلك كاستمرارية للمعرفة العامة بل كهدم لها ، هذه إذن هي الصورة الاولى للعائق

الابستمولوجي تداخل بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية ، أما بصدد العائق الابستمولوجي الثاني يمكن القول أنه يوجد على مستوى التعبير عن النتائج التي يتم بلوغها.

نجد أن التداخل بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية يعوق مرة أخرى قيام مثل هذه الصياغة الدقيقة ، فكما أن هناك على مستوى الفهم تداخلاً بين المفاهيم العلمية والمفاهيم العامة ، فإن هناك على مستوى التعبير تداخلاً آخر مرتبطاً بسابقه بين اللغة العلمية واللغة العامة ، وعندما يتحدث **باشلار** عن القوانين الابستمولوجية إنما يقصد تلك العوائق التي تعوق قيام المعرفة العلمية الموضوعية وبين **باشلار أن العوائق الابستمولوجية ضرورة وظيفية لسير المعرفة العلمية.**

إن **وظيفة الابستمولوجيا** أو فلسفة العلم عند **باشلار** هي دراسة الشروط الممكنة لإنتاج المعارف العلمية ويكون هذا عن طريق معرفة الحقيقة للعلم ، وهكذا يمكن للابستمولوجيا أن تستقل عن مباحث الفلسفة التقليدية التي وصفها باشلار بالانغلاق والجمود والاستغلال السيء لنتاج العلم ، في حين أن الفكر العلمي متفتح ومتطور على الدوام ، ولذلك وجب أن يكون لكل علم أبستمولوجيا الخاصة ، لا وجود لعلم عام ، العلم متخصص ، العقلانية المطبقة مهمتها التركيب الجدلي بين العقل والواقع.

أ رادت **الابستمولوجيا الباشلارية** تكوين عقل علمي جديد قائم على قيم الثقافة العلمية المتجددة باستمرار تنتقص به العقل التقليدي الذي يعمل وفق مبادىء منطقية صارمة ، العقل عند **باشلار** هو في حد ذاته نتيجة من نتائج العلم وتغيير هذه النتائج يؤدي الى تغيير العقل نفسه فليس هناك عقل ثابت ولا معرفة ثابتة **فكانط** حين تحدث عن المبادىء القبلية للعقل المجرد بني فكره على ثقافته الرياضية الفيزيائية في عصره وبالتالي لا يمكن وضع منهج قبلياً يفرض على العالم إتباعه فالمنهج العلمي كذلك انعكاس للثقافة العلمية السائدة في مرحلة ما من مراحل الفكر ، المنهج مرتبط بالممارسة الواقعية للعلماء وهذه الممارسة تتطلب تعددية منهجية قابلة للتعديل المستمر باعتبار الرياضيات أرقى العلوم تجريدا على الباحث العلمي أن يفكر بالواقع بطريقة رياضية ، إذ إن الفكر العقلاني المجرد بإمكانه أن يقترح امكانات جديدة للواقع ، وعلى العالم أن يثبت هذا الواقع نظرياً ثم يتحول الى تأكيده تجريبياً ، التجربة العلمية تعتمد على أدوات وتقنيات هي في حد ذاتها تطبيق لنظريات علمية ، والواقعة العلمية موضوع مركب ومعقد فليس ثمة ظاهرة بسيطة وواضحة ، فالواقعة العلمية بناء نظري صالحة للاختبار التقني .